# شهريار القرن الواحد والعشرين

يـوم مـن أيـام الشـتاء البـارد، السـماء كعادتهـا ملبـدة بالغيـوم، تعانقـت السـحب وأمطـرت، بـين الحـين والأخـر تتشـق السـماء عـن أضـواء بـرق مصحوبـة بهزيـم رعـد هـادر، أضفـي علـي المدينـة لوحـه كئيبـة، لـم يعـد هنـاك موطـئ لقـدم، عـم السـكون الشـوارع، تـوارت المنـازل والبيـوت خلـف سـتائر مـن الضبـاب الكثيـف، اختفـي عـن الأعـين أي أثـر للحيـاة، ريـاح مضطربـة وحفيـف شـجر وزخـات مطـر، وأصـوات بعيـدة كسـرت ذاك الصمـت، الـذي أوحـي للناظريـن وكأن المدينـة خاويـةٌ مـن بشـر.

داخـل قصـره المنيـف، وفي مخدعـه الأثيـر، تقلـب شـهريار علـي فراشـه يمينـاً ويسـاراً، يغـط في نـوم عميـق، يلتمـس بعـض مـن دفء أغطيتـه، تعتلـي وجهـه ابتسـامة إنسـان يسـتمتع بنـوم هانـئ، فجـأةً، وبـدون سـابق إنـذار، يعلـو في الخـارج ضجيـج، هديـر يقـض مضجعـه، فانتفـض شـهريار صائحًـا بصـوت غاضـب، مـاذا هنـاك؟، كيـف تجـرؤن علـي إزعاجـي هكـذا، ثـم راح ينـادي: شـهرزاد، شـهرزاد.

اقتحـم المخـدع امـرأة خمسـينية، قصيـرة القامـة، تميـل إلـي البدانة، بيضـاء البشـرة، تحمـل جمـالاً غابـرًا، يتسـم وجههـا بالاسـتدارة

المحببة للناظرين، تركت شعرها الأسود الناعم ينساب على كتفيها بحريةٍ، اقتربت من فراش شهريار قائلةً: أنا هنا يا مليكي، فأشار إليها شهريار بكلتا يديه صارخًا، لما تلك الضوضاء يا شهرزاد؟، لقد أقلقوا مضجعي؟، ولابد من مُحاسبة كل من شارك في هذا الجُرم الأثيم، زوت شهرزاد ما بين حاجبيها انزعاجاً وهي تقول: إنهم الرعية يا مليكي، جاءوا من كل حدب وصوب، أزاح شهرزاد غطاءه الحريري جانباً قائلاً بغضب: كيف سولت لهم أنفسهم ذلك، آلا يعلمون إنني نائم؟ كيف يجرؤون علي سرقة أحلامي هكذا يا شهرزاد؟.

أطلقت شهرزاد تنهيدة حارة مليئة بالحسرة، اقتربت منه واضعةً يدها علي كتفه، ثم قالت: إنهم رعيتك يا مليكي وليسوا خدم قصرك، ولاك الله عليهم فلم تؤتمن عليه، واليوم جاءوا لينزعوا منك مُلكك هذا.

أحس شهريار بارتجافةٌ تسري في أعماق جسده، ارتعدت فرائصه حتي كاد أن يتهاوى أرضاً، انساب العرق البارد يجري أنهاراً في أنحاء جسده الوهن، لم يكن لبرودة الشتاء دورٌ في ذلك، بجسد أصابه الضعف فجأةً التفت إلي زوجته، التي ما أن رأته حتي جحظت عيناها جَزَعًا، لم يكن الواقف أمامها ذاك الذي تحدث إليها منذ قليل بتعالٍ وعجرفةٌ، لم يكن زوجها الذي

حفظته عن ظهر قلب، بدا عجوزًا، تسلل الشيب إلي فوديه، برزت تجاعيد وجهه، انطفأ بريق عينيه، راح ينظر إليها بعيون ذائغة لا تدرك ما تراه،  تحركت شفاه تردد بصوت خافت، كيف ينزعون عني مُلكي، أنا المُلك والمُلك أنا، أنا المُلك والمُلك أنا.

راح شهريار يردد جملته الأخيرة في خفوت صادم، يتنامى إلي مسامعه هدير رعية غاضبة، تهتف بكلمات ما تخيل أنه سيسمعها في أشد كوابيسه رعبًا، الشعب يريد إسقاط النظام، ما أغربها من كلمات، تَنَاهَى إلي أذنيه كل الأصوات، صراخ نساء مُلتاعة، نحيب أطفال شابوا قبل الأوان، صياح مُنكسر لرجال فقدوا الحيلة، في حين غاب صوت الشباب عن تلك الغزوة، فهم إما قضوا غرقًا بحثًا عن حياة جديدة، وإما خلف غياهب السجن يقبعون، فأشار شهريار بيديه إلي النافذة قائلاً، أسمعتي يا شهرزاد، ناكرو الجميل، لماذا يفعلون ذلك؟ لماذا؟، دنت شهرزاد من زوجها قائلةٌ، لم تفهم يا مليكي ما قُلته لك قديمًا، لقد أخبرتك أنه عندما يكتشف الإنسان حقيقة نفسه بنفسه.. فهيهات هيهات أن يضل السبيل.

لم يعد شهريار قادرًا علي التحمل أكثر من ذلك، تهاوي جسده المُنهك علي الأريكة المجاورة للفراش، رجع برأسه إلي الوراء مستسلمًا، أغمض العين، وأطلق تنهيدة بالغة العُمق، وبدا

وكأنه يتذكر ما لم يفهمه، ولكنه يؤلمه، اليوم أدرك ما كانت تعنيه زوجته، واليوم عليه أن يتحمل ما تجاهله أعوام، لم تتفوه شهرزاد بأي كلمةٌ، سكتت أخيرًا عن الكلام المُباح، ولم يعد هناك صوتٌ يعلوا فوق صوت الرعية.

اقتربت شهرزاد من زوجها وقد دمعت عيناها، ثم جلست علي الأرض بالقرب من قدميه، قبل أن تقول مواسيةً: هون عليك يا مليكي، مازال في العمر بقيةٌ، ويمكن أن تفعل الكثير لتستعيد رعيتك، هب شهريار فجأةً وقد عادت الروح إلي جسده قائلاً، أهناك أمل يا زوجتي، جذبته شهرزاد من يده لتجبره علي الجلوس مرددةً: عندما يكتشف الإنسان حقيقة نفسه بنفسه.. فهيهات هيهات أن يضل السبيل، فقط استمع لحكاوي رعيتك يا مليكي، ففي حكاويهم عين الحقيقية.

وكأن روحه رُدت إليه، عاد لقلبه الخفقان من جديد، تورد جسده بدماء الحياة، هكذا أحس شهريار، هناك أمل إذن، مازال في العمر بقية، حُلم البقاء علي سده المُلك مازال مشروعاً، نهض شهريار من كُرسيه وطرح جسده أرضًا إلي جوار شهرزاد قائلاً بصوت عاد إليه حماسته، هلُمي يا شهرزاد، أعلني عن موافقتي استقبال الوفود من رعيتي لأستمع إلي شكواهم، صاحت شهرزاد وقد طفح منها الكيل، وبلغ السيل الزبي، أولم تعلم يا مليكي

شكوى رعاياك، لقد ظللت أقدم لك في كل ليلة أنماطاً وألواناً من الناس والحياة، حتي حشدت الدنيا كلها في هذا المخدع الصغير، كنت أتكلم عن الظلم أحياناً ولم أكن أعني سواك.

اضطرب وجه شهريار خجلاً، فما تقوله زوجته سبق وأن قالته منذ ألف عام، فأشار إليها قائلاً وهو يعتدل في مجلسه، إذن ذكريني يا زوجتي الحبيبة، عل الذكري تنفع المؤمنين، تنحنحت شهرزاد وقالت: إذن اسمع يا مولاي، بلغني أيها الملك السعيد، ذو الرأي الرشيد، أنه في أرضنا ولد جيل، من المحيط إلي الخليج، لم يرضي عن الكرامة بديل، وقف أمام ظالم عتيد، عاث زبانيته في الأرض فسادا، انتهكوا الأعراض وسلبوا العبادا، ولم يكن من عدالةٌ تحمي الرعية، بعد أن فرق القانون بين الظالم والضحية........................

●●●

# الحكاية الأولي

مشهد متكرر: (نهار خارجي– سوق الهيثمي– مدينة القاعدة– محافظة أب– اليمن– ليلة السادس والعشرون من شهر رمضان)

كعادة الأيام الأخيرة لشهر رمضان من كل عام، خرج أغلب سكان المدينة الصغيرة إلي الأسواق التجارية، اصطحب الأباء والأمهات أطفالهم بحثًا عن ملابس جديدة، فالعيد علي الأبواب، والأطفال في حاجة لأن ينسوا قليلاً صوت الرصاص، أرادوا لهم أن يشموا رائحة غير تلك الرائحة التي اعتادوا عليها، رائحة الدماء.

«أمي هذا الحذاء جميل».. أمام فاترينة إحدي متاجر الأحذية المنتشرة بسوق الهيثمي انطلق هذا الصوت، طفل صغير يجذب يد أمه لتتوقف قليلاً، كان يشير إلي حذاء أثار إعجابه، أخرجت الأم كيس النقود لتطمئن إنها تمتلك ثمن الحذاء، وعندما وجدت أنها قادرة علي شراءه، تنهدت بصوت مسموع وهي تلتفت إلي طفلها قائلةٌ: بصوت مرح، «سنشتريه يا بني، سيكون جميلاً عليك».

لم ينتظر الطفل حتي تنتهي أمه من حديثها، انطلق ضاحكًا إلي داخل المتجر صائحًا، «مرحى أمي، حذاء جديد، حذاء

جديـد»، لـم تصـدق الأم أذنيهـا، أخيـرًا صغيرهـا عـرف للسـعادة طريـق، فأسـرعت وهـي تـردد مـا يقـول، «مرحـى مرحـى، حـذاء جديد»، لم تعبأ الأم بدهشـة العاملين بالمتجر، ولا بنظـرات الإشـفاق التـي رماهـا بهـا البعض، فأمـام عينيهـا طفـل حُـرم السـعادة منـذ أن سيطر العنف علي تلك البلدة المتألمة، طفل لم ينتظر ليخرجوا لـه حذاءه، فـراح يحـاول فتح تلك الفاترينـة الزجاجيـة بأطـراف أصابعـه الصغيـرة.

مـن يـري الطفـل لـن يصـدق تلـك الحالـة التـي يعيشـها الأن، لمعـة عينـاه الضيقتـان، تلـك الابتسـامة الواسـعة التي ملئـت وجهـه حتـي كادت أن تخفـي وجنتيـه السـمراوين، كفيـه اللـذان لـم يتوقفـا عـن التصفيـق بهجـة بـأول حـذاء سيشـتريه منـذ أن قُتـل والـده ذبحـاً علـي بـاب منزلهـم، عمـال المتجـر أدركـوا مـا يعتمـل في قلـب الصغيـر، فأسـرع الجميـع ليحضـروا لـه حـذاءه، علهـم ينعمـون بضحكاتـه الجذلـة مـن جديـد، ومـا أن جـاءوه بـه حتـي أسـرع بكفيـه يلتقـط مـا حلـم بـأن يقتنيـه ليـالٍ طـوال، احتضـن الصغيـر حـذاءه، راح يحلـم كعادتـه، فقـد رأي الحـذاء يزيـن قدميـه الصغيرتـين.

التفـت الصغيـر إلـي أمـة التـي وقفـت صامتـة دامعـة العينـين، رفـع الحـذاء إليهـا قائـلاً بصـوت هامـس، «أريـد أن أرتـدي الحـذاء.. سـاعديني يـا أمـي»، أسـرعت الأم لتخفـي دمعـةٌ حاولـت أن تفـر مـن

سجن عينيها، التقطت الحذاء من يد صغيرها، جلست القرفصاء أمامه، بينما جلس هو علي أحد المقاعد رافعاً قدميه الاثنتين ضاحكًا، انتهت الأم من مساعدته في ارتداء الفردة الأولي من الحذاء، التفتت لتلتقط الفردة الثانية، بطرف عينيها شاهدته، أشعث يرتدي جلباب قصير أبيض، يلف وسطه بحزام ناسف، يندفع إلي السوق صارخًا، «ألله أكبر»، ثم انتهي كل شيء.

مسقط رأسي من ذلك المكان الذي شهد أسعد لحظات طفلٍ، لم يعد كما كان، انقلب كل شيء رأساً علي عقِب، اختفت ضحكات طفلً شقي أراد أن يقضي العيد بحذاءً جديد، لم يبقي سوء تلك الرائحة التي اعتاد عليها منذ أن ولد، رائحة دماء، وشواء لحم بشري، الفارق الوحيد أنه لم يعد قادراً علي أن يشتم تلك الرائحة التي زكمت الأنوف، فقد تبعثر جسده وأمه إلي أشلاء هنا وهناك، يا لسخرية القدر، علي أحد أركان المتجر المحترق، كانت هناك قدمه ترتدي ذلك الحذاء، وإلي جواره يد أمه تمسك الفردة الأخرى، وكأن القدر أبي أن يفارق الصغير حذائه، فقرر أن يجتمعا معاً، بقدم صغير حلم به، وبكف أم عاشت لتُسعد صغيرها.

●●●

داخل المخدع، وقفت شهرزاد أمام شرفة القصر، تقول: وكانت تلك يا مولاي حكاية الصغير وأمه، عاشا يحلمان بلحظة سعيدة، ولما أتت ظنا أنهما سيعيشان طويلا، صمتت شهرزاد برهةٌ، وعندما لم تتلقي جواب، التفتت إلي الملك شهريار، الذي تململ في الفراش ثم قال مهمهماً: وماذا بعد أكملي، إبتسمت شهرزاد وقالت متنهدةً، وبعد،، يجب أن تنام يا سيدي، فصاح شهريار بصوت عالٍ منادياً: مسرور، أقصد عشماوي، فدنت منه شهرزاد متزمرة قائلةً: مولاه......... أطلق الديك صياحه معلناً ميلاد يوم جديد، وعندها أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح...............

●●●

علي أنغام موسيقي هتافات الشعب الغاضب، راح شهريار يتحرك باضطراب ملحوظ داخل مخدعه ذهابًا وإيابًا، بين الفينة والأخرى يقترب من الشرفة المطلة علي باحة قصره بحذر مرتاب، تنتابه هواجس مجرد التفكير فيها يفزعه، هل يجرؤون علي اقتحام قلعته، هل يقتصون منه عقابًا علي تجاهلهم، إنه لا يجرؤ حتي علي الخروج الي حديقة قصره، كيف له كحاكم للبلاد أن يتم وضعه تحت الإقامة الجبرية حفاظاً علي حياته، توقف فجأة عن الحركة بجوار الشرفة، قبل أن يقول صائحًا بصوت غاضب:

«سأجعلكم تندمون علي فعلتكم تلك.. لن تهنئوا بعد اليوم.. أنا تفعلون معي هكذا.. أنا تحبسونني داخل مخدعي كالنساء».. ثم دلف إلي داخل مخدعه هاتفاً: «شهرزاد.. أين أنتِ».

لم تكد شهرزاد تسمع نداء زوجها شهريار حتي اقتحمت مخدعه دون استئذان، يبدوا عليها الإنهاك الشديد، كانت كأنما هرمت في ساعات قليلة، شحب وجهها كثيراً، انتفخ جفني عينيها المحمرتين، تهدلت وجنتيها المصفرتين، كانت كمن بات ليلته يبكي بلا توقف، أمام هيئتها تلك وقف زوجها بلا حراك لا يجرؤ علي الكلام، يدرك جيداً حجم ما يعتمل في صدر زوجته من آلام، أطرق برأسه خجلاً، يخالجه شعور بالمسئولية والعجز، مسئولية اهتياج الرعية، والعجز عن إصلاح أي شيء، دون أن يرفع عينيه لزوجته قائلاً بصوت هامس: «ألن تكملي لي حكاوي شعبنا يا زوجتي الحبيبة»، سمع تنهيدة شهرزاد الهادئة، رفع رأسه متشجعًا قبل أن يقول وقد عاد إلي صوته العناد: «ولكنني أرفض تحمل مسئولية مقتل ذلك الصغير.. لقد قتله ذلك الأشعث.. فما ذنبي أنا».

كعادتها كلما ضاقت بما يقول شهريار وضعت شهرزاد كفيها علي رأسها، ثم أمسكت ببعض خصلات شعرها وكأنها تهم بنزعها، قبل أن تلتفت لتجلس علي أحد الأرائك المواجهة لشرفة المخدع، ثم أشارت إلي باحة القصر قائلة بصوت حانق:

«كيف هذا يا مولاه.. هذا الأشعث كان أحدهم يوم ما.. لم يولد ليعيش إرهابيًا ينسف نفسه في وجه الأطفال والنساء.. كان يمكن أن يكون إنسانًا طبيعيًا لولا ما تعرض له»، اقترب شهريار من زوجته، جلس كعادته بجوار قدميها قائلاً: ما أسم هذا الأشعث، فأجابته دون تردد: جمال، فزوي ما بين حاجبيه الرفيعين قائلاً: «أحكي لي كيف أصبح هذا الـ»جمال» إرهابيًا.. ومن الذي دفعة لتفجير نفسه هكذا»، نزلت شهرزاد لتجلس بجوار زوجها علي الأرض قائله بطريقتها المعهودة: «اسمع يا مولاه.. بلغني أيها الملك السعيد، ذو الرأي الرشيد، أنه في احدي مساكن العشوائيات، عاش مدرس يدعي جمال له باع في الرياضيات....

●●●

# الحكاية الثانية

كعادته فجر كل صباح، ما أن ينطلق رنين المنبه الصغير المجاور لفراشة حتي يهب واقفًا، يبدو حيويا تمتلئ نفسه نشاطًا عجيبًا، رغم برودة شتاء ديسمبر، ورغم ما يعانيه من إحباط مازال يعتريه أمل أن ينصلح حاله، راح يتمطع نافضًا عنه كسل حنين العودة إلي الفراش مرة أخري، اتجه إلي دولابه الصغير، تناول بعض الملابس النظيفة قائلاً بصوت مرح: «نلحق نغير القميص قبل ما يدوب.. يمكن حضرة الناظر يغير رأيه ويعاملني كمدرس رياضيات مش مجرد كشكول».

لم يشعر جمال مدرس الرياضيات ابن الثامنة والعشرين من عمره بأمه العجوز التي تقف خلفه مُحملقة، تراقب ابنها الوحيد بعين مُشفقةٌ، شيء ما جعلها لا تغمض العين منذ ودعته ليلة أمس، باتت ليلتها تصلي وتدعي له، كأن شيء ما سيصيب وليدها، اضطراب قلبها، ارتجافة جفنيها، تنبئانها بذلك، التفت جمال ليجد أمه تقف هكذا بلا صوت، فقال بصوت هادئ: «فيه إيه يا أمي.. أنت صحيتي بدري ليه»، تنهدت أمه قائله بصوت غلب علية التوتر: «أنا منمتش طول الليل.. قولت ألحقك قبل ما تنزل تصلي الفجر»، ألقي جمال ملابسه علي الفراش قبل أن

يقترب من أمه قائلاً: «خيراً يا أمي»، وكأنها تستعد لإطلاق حمل جاثم علي صدرها تنهدت بصوت مسموع، ولكنها ترددت فلم تقل شيئًا، فقط ابتسامة حانية أطلت من عينيها، لا شيء يا بني.. فقط اعتني بنفسك، ثم التزمت الصمت.

لم يكن جمال ذلك الشاب الذي استيقظ منذ قليل يملؤه الأمل، أضحي وكأنه شخص أخر، تبدلت هيئته فجأة، انطفئ بريق عينيه، ارتعدت أوصاله، ودع أمه وكأنه يراها للمرة الأخيرة، خرج من منزله المُطل علي تلك الحارة الضيقة يتساءل، لما يكذب علي نفسه هذا الصباح، إن قلبه يشعر بمثل ما يشعر قلب أمه، هناك خطب ما سيحدث، ما حدث لأخويه عادل ومنصور مازال ماثلاً أمام عينيه، يدرك أن دوره قد حان ليدفع ثمن ضعفه وقلة حيلته، في تلك الأثناء ارتفع صوت المؤذن معلناً بدء صلاة الفجر، فأسرع الخطى منفضًا ما علق في رأسه من ذكريات أليمة.

أنهي جمال صلاته سريعًا، حاول كثيرًا أن ينهض، لكن عقله المُثقل بالهواجس آبى أن يطاوع إرادته، استسلم لتلك الحالة الرافضة لمغادرة المسجد، دون أن يشعر اقترب منه أحدهم، عظيم الجثة، عريض المنكبين، كث اللحية، أسمر البشرة، يغطي رأسه بشال أبيض، يرتدي جلباب رمادي قصير، أسفله سروال من نفس اللون، وضع كفه الغليظ علي كتفيه قائلاً: تقبل الله يا أستاذ

جمـال، شـاردًا التفـت إليـه، وقبـل أن يجيبـه اقتحـم المسـجد بعـض الرجـال، انقضـوا علـي الجميـع، قيدوهـم، ألهبـوا أجسـادهم بالعصـا، ثـم حملوهـم، وداخـل سـياراتهم وضعوهـم، وفي مـكان مجهـول عذبوهـم، ودون محاكمـات ألقـوا بهـم في غياهـب السـجن.

سـنوات طويلـة مـرت، وجمـال داخـل السـجن، لا يعلـم، أي ذنـب ارتكـب يسـتحق معـه ذلـك العقـاب، ماتـت أمـه حسـرة عليـه، ماتـت دون أن تعلـم أيـن هـو، دون أن تـراه، ومـع مـرور الأعـوام، لـم تُغلـق أبـواب الماضـي، ولـم تُفتـح أمامـه أبـواب الحاضـر، ولـم يـدري كيـف سـيطرق أبـواب المسـتقبل، أي حاضـر ينتظـر بـرئ تعـرض لمثـل هـذا الظُلـم، وأي مسـتقبل يمكـن أن يتعايـش معـه مجـرم لـم يرتكـب جُـرم، بيـد انـه وجـد ضالتـه مـع الأميـر، شـيخ عظيـم، عـده رسـول، أنزلـه الله بالهـدى، رأي فيـه العـدل الـذي حُـرم منـه، رفـع رايتـه، حمـل سـيفه، وأقسـم أن يقتـص مـن مُعذبيـه، وأن يُطيـر رقـاب ظالميـه.

●●●

داخـل المخـدع، جلسـت شـهرزاد أمـام فـراش زوجهـا، تقـول: وكانـت تلـك يـا مـولاي حكايـة الأشـعث جمـال، عـاش يحلـم بحيـاة لـم يهنـأ بهـا، فمـات بحثـاً عـن مـا عـاش يحلـم بـه في الآخـرة، صمتـت شـهرزاد برهـةٌ، وعندمـا لـم تتلقـي جـواب، التفتـت إلـي الملـك شـهريار، الـذي تململ في الفـراش ثـم قـال مهمهمـاً: ومـاذا بعـد أكملـي،

فتبسمت شهرزاد وقالت متنهدةً، وبعد،، يجب أن تنام يا سيدي، فصاح شهريار بصوت عالٍ منادياً: مسرور أو عشماوي، أي منكم، فدنت منه شهرزاد قائلةً: سيدي........ أطلق الديك صياحه معلناً ميلاد يوم جديد، وعندها أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح...............

●●●

«كيف يجرؤون.. هل نسوا من أنا».. بدا شهريار ثائرًا هذا اليوم، ملئ غرفة الاجتماع والمشورة صراخًا وضجيجًا، فما يقوله الوزير الأول لمُلكه لا يُصدقه عقل، الرعية ترفض الحوار، ولا ترضى عن رحيله بديل، اقتحمت الغرفة شهرزاد تستطلع الأسباب، فأتاها صوت زوجها يقول: سأدمرهم جميعًا، سأقضي عليهم، فزوت ما بين حاجبيها اعتراضًا، لا يا سيدي، ستقضي علي أخر خيط يُخلد ذكراك، ثم أشارت إلي وزيره قائلة: دع الحاكم ليسترح قليلاً وسيأتيك بالخبر اليقين.

خلت الغرفة، لم يبق سوي شهرزاد وزوجها، لم تنطق بكلمه واحدة، سكتت عن الكلام المباح، راحت تراقب شهريار بعين ملؤها الشفقة، تدرك ما يعتريه من هواجس هول الصدمة، ملكٌ كان يأمر فيُطاع، واليوم حُبس في قلعه لا يجرؤ علي الخروج، دون أن يلتفت إليها سمعته يهمس قائلاً: «آريتِ يا شهرزاد، رعيتي

ترفض الإنصات، لا ترضي عن رحيلي بديل»، دنت شهرزاد منه، ربتت بيديها علي كتفه قائلة: «هون عليك مولاه، أنت تعلم شعبك سيدي، لا يوجد علي الأرض أرحم منه، فقط دعه يشعر أن له زعيم عادل يرعى مصالحه».

التفت شهريار فجأة إلي زوجته، علت وجهه قسمات حادة، أطل الشرر لوهلة من عينين غائرتين، برزت أسنانه التي بدت صفراء لامعة، كحيوان مفترس أطلق زمجرة وحش كاسر، طفا الزبد ثغرات فمه الواسع، علا الفزع وجه شهرزاد، خُيل إليها أنها تقف أمام وحش يستعد للافتراس، وحش فقد فجأة كبريائه، قرر أن ينتقم من الجميع، تراجعت إلي الوراء بهدوء حذر، حاولت أن تفهم ما يقول: «عن أي مصالح تتحدثين يا شهرزاد.. أنا لم ارتكب شيء علي الإطلاق.. استمعت إلي نصائحك وحاولت أن أسمع شكواهم.. ولكنك تلقين علي مسامعي اتهامات ما أنزل اللّه بها من سلطان.. كيف تربطين بين ذلك الأشعث جمال وما ارتكبه من إرهاب بظلم تعرض له، والأدهى أنك تلصقين ما تعرض من ظلم بي».

أيقنت شهرزاد أن مليكها ما عاد به قدرة علي الوعي، تدرك أن نفسه تأبى مزيد من الحكايا، وانه ما يستمع إليها إلا ليغسل يديه أمام الرعية، والأدهى أنه يتنصل من كل فعل مُشين، يتهمها بأنها تشارك في إلصاق الظلم به، هوت بجسدها علي أقرب أريكة منها، نظرت إلية بعينين ملؤها الانكسار، ثم قالت: «ما

اعرضه عليك لا يعفيك من المسئولية مولاي.. أنت من قال إنني ألدغ شعورك بما أعرضه عليك من ألوان الحياة والناس.. وأنني أتكلم عن الظلم أحياناً وكأنني لا أعني سواك».

بوجه منكسر اختفت منه معالم التوحش اقترب شهريار من مقعدها، كعادته جلس أسفل قدميها مطأطئ الرأس، أسدل ستائر جفنيه ليحبس دمعة حاولت أن تفر، بصوت لاهث، دامع، قال: «قُلتِ لي يا مليكتي إنه عندما يكتشف الإنسان حقيقة نفسه بنفسه، فهيهات هيهات أن يضل السبيل.. وهاأنذا لا أري يا مليكتي سوي أخطاء الآخرين»، رفع شهريار عينيه المبللتين بالدموع، ليذهل هذه المرة زوجته التي فغرت فاها معلنة عن دهشة ما تري، شهريار يبكي.

قبل أن تتفوه بكلمة، وضع يديه علي شفتيها قائلاً: «أثناء حديثك عن الأشعث جمال ذكرتِ أخوية عادل ومنصور، ماذا أَلَّم بهما، وهل لي علاقة بما أصابهما، لاح علي شفتي شهرزاد شبح ابتسامة، أدركت أنه مازال هناك أمل، أطلقت تنهداتها المعتادة قبل أن تقول: «لكي تعرف الإجابة يا مولاي عليك أن تنصت إلي قصتهما.. وسأبدأ بعادل أولاً.. اسمع يا مولاه.. بلغني أيها الملك السعيد، ذو الرأي الرشيد، أنه في إحدي الجامعات، درس عادل الزراعة، وحلم أن يُعمر الصحراء..........

●●●

# الحكاية الثالثة

«يا صحرا لمهندس جاي.. قال هيخلى ترابك أموال.. الحصوة تتباع بريال.. والحجر بريال وشوي».. مازال الوقت مبكراً، سكن كل شيء إلي عشه في تلك القرية الصغيرة، الناس في بيوتها، والحيوانات في جحورها، والطيور علي أعشاشها، لم يستيقظ أحد بعد، فالفجر لم يؤذن، داخل إحدي المنازل البسيطة وقف ذاك الشاب أمام المرآة يعدل هندامه، فتي صغير، أنهي مؤخرا دراسة الزراعة، عاش سنوات عمره يحلم باليوم الذي سيعمر فيه الصحراء، واليوم سيحقق ما حلم به، سينطلق إلي تلك البقعة الجرداء ليطبق ما تعلمه علي الأرض البور، لذلك استيقظ مبكراً، وكعادته كلما انتابته الحماسة، يُثير تلك الضوضاء، وقف أمام المرآة يردد كلمات بيرم التونسي الخالدة، تلك التي لحنها منذ ستون عاماً أحمد صدقي، وتغني بها الفنان سيد إسماعيل.

وسط الجلبة التي يصنعها عادل، لم يلحظ جمال، أخيه الذي يشاركه تلك الغرفة الصغيرة، أيقظته تلك الضوضاء، لكنه لم يعلن عن ذلك، فقط، فتح عينيه صامتًا، يراقب شقيقه مشفقًا، يدرك ما يعتمل في قلبه من مشاعر صادقة، فتي حلم طويلاً، ظن أن أحلامه ستتحقق، ولكنه ظن من النوع الأثيم، هكذا دائمًا

ما كان يمازحه، فكان لا يلقي بالاً، ينظر إليه كأنه طفل صغير، بيد أن جمال رغم أنه يصغره بثلاثة أعوام، كان عين الحكمة التي تنقص شقيقه، يدرك أن الأحلام لا نراها إلا في المنام.

مرت أيام، وأسابيع، وشهور، لم يعد عادل ذلك الفتي الذي تغني يومًا بالأمل، كان يظن أن حلمه قريب، سيصدق أخيرًا شقيقه جمال، أنه من النوع الأثيم، هذا الصباح استيقظ كعادته عند الفجر، جلس أمام منزله الصغير يحتسي كوب من الشاي، ينظر إلي الأرض البور التي حصل عليها ليُعمرها، جاء منذ بضعة أشهر يحدوه الأمل، من يري بريق عينيه طيلة رحلته الأولي، من يسمع خفقان قلبه لحظة أن وطأت قدميه تلك البقعة، سيدرك ما كان يأمله ذلك الفتي، يومها التقط حفنه من رمالها، وأقسم أن يزين صفرتها باللون الأخضر، وها هو اليوم لا يفعل شيء سوي الجلوس علي باب منزله يحتسي الشاي، ويستمتع بالهواء النقي، وقد حنث بقسم لم يملك البر به لحظة.

«لِساك بتحلم يا صاحبي».. علي صوت زميله عيسي انتفض عادل، ظن أنه لا أحد غيره قد استيقظ مبكراً، وعليه الأن أن يعتاد ذلك، فذاك ظن من النوع الأثيم، فاعتدل مبتسمًا، ويحك يا فتي، لقد أفزعتني، بمرحه الصعيدي خفيف الظل اقترب عيسي، شاب اسمر ككل أهل النوبة، جاء حالمًا، لم يختلف حلمه عن ما

كان يحلم به جاره عادل، جاء قبله بأسابيع قليلة، حاول كثيرًا أن يهون عليه، تظاهر أمامه بالمرح واللامبالاة، وما أن يأوي إلي فراشه حتي تدمع عينيه، لم يكن هذا ما رآه في أحلامه، ولا حتي في أحلك كوابيسه، تساءل كثيرًا، هل أخطأ لأنه في ليلة راوده حلم، جلس بجوار عادل، تناول من يديه كوب الشاي، ارتشف رشفتين سريعتين، قبل أن يقول ساخرًا، كيف لرجل مثلك عاشر العقارب والثعابين ليال طوال يفزع هكذا يا فتي.

بدى سؤال عيسي عجيباً علي أذني عادل، لم يدرك إجابة له، ولكنه منحه سؤالا جد أعمق، ما الأكثر رعبًا هنا، العقارب والثعابين، أم اغتيال حلم عشناه سنين، لم يدرك أن سؤاله هذا سيعبر سجن فيه، فتسربت من بين شفتيه همهمة، فهمها الفتي النوبي، فأسرع يجيبه مهونًا، الأحلام لا تموت يا صديقي، أطلق عادل ضحكة ساخطة، الأحلام لا تموت، وأجساد الحالمين أكلها دود الجيف، ثم التفت إليه قائلا: يا عيسي أجسادنا ماتت قبل أحلامنا، نحن لا نفعل أي شيء، لماذا جاءوا بنا إلي هنا، الأرض البور تفتقر لكل شيء، لا ماء، لا كهرباء، لا طرق ممهده، مزارعنا الصغيرة لم تري اللون الأخضر الذي حلمنا به، منحوا الكبار كل شيء، ونحن لم يمنحونا أي شيء، لا الكبار زرعوا أراضيهم، ولا الصغار رأوا اللون الأخضر بعد، وها نحن ننتظر مكافأتنا، السجن، وكأننا مذنبون.

كشـريط سـينمائي مـرت الأيـام ثقيلـة علـي عـادل، نفـذت مدخراتـه، تراكمـت ديونـه، ومثلـه كل زمـلاءه، هجـروا الصحـراء، تركوهـا لهـم بـور، وعلـي شـاطئ البحـر انتظـروه، وقفـوا وسـط المئات مـن الفاريـن، وفي جُنـح الظـلام شـاهده، المـوت العائـم، قـارب صغيـر، مهتـرئ البنيـان، لا يحتمـل أكثـر مـن نصفهـم، كالأنعـام حشـروهم واحـد تلـو الأخـر، لـم يعلـن القـارب عـن رفضـه، حتـي ظنـوه يصـرخ هـل مـن مزيـد.

بإصـرار عجيـب تحـرك القـارب ببطء، علـي متنـه خيـرة شـباب الأمـة، فاريـن، ليـس لذنـب جنـوه، ولكـن لحلـم تمنـوه، في عـرض البحـر، لـم يعـد لـدي القـارب قـدرة علـي التحمـل، فنـاء بحملـه يمينًـا ويسـارًا، بكـي عـادل كثيـراً، لـم يصـرخ طلبًـا للنجـدة، لـم يهتـف آمـلاً للغـوث، صـرخ كثيـرًا علـي أرضـه ولـم يجـد مُجيـب، الأن يرجـو المـوت، عل قـروش البحـر أرحـم مـن كـروش البـر، وعلـه يجـد في المـوت واحـة لحلمـه بعيـدًا عـن أرض الفاسـدين.

●●●

داخـل المخـدع، جلسـت شـهرزاد أمـام فـراش زوجهـا، تقـول: وكانـت تلـك يـا مـولاي حكايـة شـقيق الأشـعث، عـادل، فتـي لـم يجـد في أسـمه نصيبًـا، حلـم يومًـا أن يبنـي وطنـه، ظـن أنـه قـادر علـي ذلـك، لكنـه تعلـم أن هـذا الظـن مـن النـوع الأثيـم، تركـوه يمـوت جسـدًا قبـل

أن يموت ما حلم به، صمتت شهرزاد برهةً، وعندما لم تتلقي جواب، التفتت إلي الملك شهريار، الذي تململ في الفراش ثم قال مهمهماً: وماذا بعد أكملي، فتبسمت شهرزاد وقالت متنهدةً، وبعد،، يجب أن تنام يا مولاه، فصاح شهريار بصوت عالٍ منادياً: مسرور مسرور، فدنت منه شهرزاد قائلةً: مولاه........ أطلق الديك صياحه معلناً ميلاد يوم جديد، وعندها أدركت شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح...............

●●●

«بسم الله الرحمن الرحيم.. أيها المواطنون.. في هذه الظروف العصيبة.. التي تمر بها البلاد.. قرر جلالة الملك المُعظم شهريار.. تخليه عن عرش المملكة.. وكلف مجلس الحكماء إدارة شئون الرعية».. بوجه شاحب خلت تقاسيمه من الحياة، جلس شهريار علي أريكته يسمع قائد عسسه يدلي بيان عزله، ذلك الذي ظنه يومًا من الموالين، واليوم أصابه ذلك الذي اعتاد أن يكون من النوع الأثيم، اليوم يستعد للرحيل، اليوم يُنزع عن تاج المُلك، تاج عاش من أجله، وعاش به.

علي يمينه جلست تلك السيدة، لم تكن أقل منه شحوبًا، لم تكن أقل جزعًا، ليس علي مُلك زائل، بل علي مليك يكاد تُنتزع روحه، مليك لم يستمع إليها يوم أن نصحته، لقد ظلت تقدم له

في كل ليلة أنماطاً وألواناً من الناس والحياة، حتي حشدت الدنيا كلها في مخدعه الصغير، كانت تغنيه، كانت تتحدث عن الظلم وكأنها لا تعني سواه، كعادته لم يفهم رسالتها، لم يعي ما قالته له منذ ألف عام، أنه عندما يكتشف الإنسان حقيقة نفسه بنفسه، فهيهات هيهات أن يضل السبيل.

بينما كان شهريار مُنشغلاً ببيان قائد عسسه، تناهي إلي مسامعه صوت إنفجار شعبً، إنفجار كاد يطرحه أرضًا، لولا جلوسه علي ذلك العرش، إنفجار كاد ينتزع قلبه من ذلك الصدر الذي ضاق همومه، ما تلك الفرحة التي انطلقت في ربوع المدينه؟، لقد عاش طيلة عمره يعتقد أنه ملك زمام تلك الرعية، بعد أن ظن أنه قد ملك الأرض وما عليها، واليوم يسترد جزء من وعيه الغائب، تلك الرعية ما عادت ترغبه، ما عادت تريده حاكمًا عليها، واليوم تطالب بمعاقبته علي ما جناه.

«لا تحزن سيدي.. كان عبئًا ثقيلا.. كان صرحًا فهوي.. وآن لجوادك أن يستريح قليلا».. عبارات مترددة ألقتها شهرزاد لملك فقد القدرة علي الانصات، تحاشت كثيرًا أن تلتقي عيناها بعينه خشية الإنكسار، لم تكن تدرك أنه لم يكن هنا، داخل هذا المخدع، كان الجسد حاضرًا، بلا حياة، بلا روح، بلا أي شيء يعبر عن الوجود، رغم ذلك سمع كلماتها، فهم ما قالته، انتفاضة جسده،

ارتعاشـة أطرافـه، أنبأتهـا ذلـك، ببـطء إلتفـت إليهـا، يهبـط صـدره وينخفـض هلعًـا، وعينـان زائغتـان، قبـل أن يقـول بصـوت خافـت، هـي النهايـة إذًا شـهرزاد.

حاولـت شـهرزاد أن تبتسـم في وجـه زوجهـا، لكـن محاولتهـا بـاءت بالفشـل، كيـف لهـا أن تُظهـر ابتسـامة مطمئنـة، كيـف لهـا أن تخـدع رجـلاً عـاش سـنين يعتقـد أنـه سـيد هـذا الأرض، واليـوم يُجبـر علـي تـرك العـرش، بعـين منكسـرة راحـت تتأملـه، لـم يكـن ذلـك الرجـل الـذي عاشـت معـه عشـرات السـنين، رجـل أثقلـت الهمـوم كاهليـة، ذبلـت عينـاه كالمحمـوم، شـحب وجهـه كالمسـلول، زحـف الشـيب فجـأة علـي تقاسـيم وجهـه، كان يثيـر في النفـس مشـاعر الأسـي والألـم، دون أن تشـعر وضعـت يدهـا علـي كتفيـه قبـل أن تطلـق تنهيـدة حـارة قائلـة: ليسـت النهايـة سـيدي، قـد تكـون بدايـة جديـدة، حيـاة سـعيدة تهنـأ بهـا.

انتفـض شـهريار مـن مجلسـه صارخًـا، حيـاة سـعيدة أهنـأ بهـا، آلا تريـن يـا شـهرزاد، الجميـع يرفضنـي، الجميـع يطالـب برأسـي، أنـا الـذي لـم ابخـل عليهـم بوقتـي، وصحتـي، طبقـت عليهـم تعاليـم ثورتنـا العظيمـة، كيـف يطالبوننـي بالعيـش وهـم يأكلونـه بأرخـص الأسـعار، كيـف يطالبوننـي بالحريـة وهـم يتحدثـون لغـوًا ليـل نهـار، كيـف يطالبوننـي بالعدالـة الإجتماعيـة وقـد جعلتهـم سواسـية كأسـنان

المشط، كان شهريار كالهائج، يتمايل يمينًا ويسارًا كالسكاري، لا يعلم اين تقوده قدماه، حتي اصطدم بها، زوجته، شهرزاد، صامته، باكية، تجري الدموع علي وجنتيها أنهارًا.

كالأطفال جثا شهريار علي ركبتيه أمام زوجته مستعطفًا، هوني عليك زوجتي، كل الحياة مغادرة، لم يعد لي في هذه الدنيا سواك، فليذهب العرش إلي الجحيم، لم أرتكب جُرمًا ولا عصيانا، فعلت من أجل هذا الشعب ما يجعلني مُطمئنًا، فجأة أطلق شهريار ضحكة صغيرة، حاول من خلالها تغيير دفة الحديث، ثم راح يهز رأسه ويديه متسائلاً بصوت ساخر: آلن تُكملي قصة تلك الأسرة المنكوبة يا شهرزاد؟، حدثتيني فيما مضي عن أمر هذان الشابان جمال وعادل، وكيف أنهما تعرضا لأبشع صنوف الظلم والقهر، وقد ألصقتي بي فساد ما تعرضا، ولكنك لم تخبريني بأمر الشقيق الثالث، فهل أصابه شائنه ترغبين في إلصاقها بي أيضًا.

أطلقت شهرزاد ضحكات متقطعة، سعت كثيرًا لمجاراة زوجها بهجته الزائفه، ثم راحت تضرب بقبضتها علي كتفيه قائلة: يا مولاي أنت راع ومسئول عن رعيتك، إلتفت إليها شهريار فجأه وقد انعقد حاجبيه قائلاً: لا يا شهرزاد، كلنا راع وكلنا مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو

مسئول عن رعيته، والمرأة راعيه في بيت زوجها، وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم أيضًا راع في مال سيده، ما يعني أننا داخل تلك المملكة مسؤولون عن ما حدث، ويحدث حتي الأن، أجابته شهرزاد وقد استردت شيء من عنادها، يا مولاي كنت تسمع أمر من وليتهم شئون الرعية، وكيف أنهم لم يؤتمن عليهم في إدارتها، ولكنك لم تتحرك ساكنًا، واكتفيت بدور المتفرج علي ظلم استفحل في البلاد، لم يجد شهريار كلمة يرد بها علي زوجته، اكتفي بالإنصات لحديث يدرك أنه صحيح، أطلق تنهيدة كبيرة قال بعدها، لماذا لا تقصي علي قصة الشقيق الثالث لتلك الأسرة المنكوبه.

اقتربت شهرزاد من زوجها، ثم دعته للجلوس بجوارها قائلة بطريقتها المعهودة: «اسمع يا مولاه.. قصة ذلك الفتي منصور، والذي لم يحمل من أسمه نصيبًا، بلغني أيها الملك السعيد، ذو الرأي الرشيد، أنه في احدي المدن، تخرج شاب يدعي منصور له باع في القانون....

●●●

# الحكاية الرابعة

لم يكن شروق شمس هذا اليوم كأي شروق، ليس لأنه يوم من أيام الربيع الجميلة، تناغمت فيه كل خلائق الطبيعة لرسم تلك اللوحة الساحرة، علي كورنيش نيل القاهرة، وقفت تلك الأشجار الزاهرة، تتراقص علي أنغام ريح رطبة مغمسة بالندي، فتهللت علي أفرعها الطيور الجواثم، تحوم فيما بينها فراشات بحثًا عن الرحيق، وتسلقت الطيور ثاقبات الخشب الكستناء، ناقرة بمناقيرها ثقوب اللحاء، وحلقت العصافير وطيور السنونو تزين تلك السماء، لقد استنشق من كان هنا ريح السعادة.

أعلي أحد الكباري النيلة العريقة، تلك التي تزينها الأسود الحديدية، تجمع حشد من الناس، رجال ونساء، أطفال وشيوخ، يتزاحمون لإلقاء نظرة علي حافة الجسر، رافعين أيديهم بهواتفهم المحمولة لإلتقاط صورة تذكارية مع هذا الذي يتدلي، شاب صغير، لم يتخط الرابعة والعشرين، قرر الرحيل، وبكامل حلته الرسمية.

«مسقط رأسي من تلك التظاهرة، خبِّئْ مشاعركَ القديمةَ كلها، واكتبْ لمصرَ اليوم كلمات تليق بشعبها، لا صمتَ بعد اليومِ يفرِضُ خزيهُ، فاكتب نقداً لنيل مصر وأهلَها»..لا أعلم لماذا جاءت كلمات شاعرنا هشام الجُخ في مُخيلتي وأنا أري ذلك المشهد

العبثـي، فخرجـت أبياتـه بتلـك الصـورة المُزريـة، لتعبـر بصـدق عـن ذاك المشـهد الأليـم.

قبـل قليـل، وداخـل إحـدي مؤسسـات القضـاء، وقـف منصـور أمـام تلك اللجنـة واثقًـا، كان قد ودع والديه صباح هـذا اليوم ممنيًـا نفسـه بتحقيق حلم حياتـه، فتـي تخـرج مـن الحقـوق متفوقًـا، وآن لـه أن يخطـو خطـوة طالمـا سـعي إليهـا، رغـم شـكوك والـده الـذي يعمـل كناسًـا للمدينـة، دائمًـا مـا يذكـره، يـا بنـي لـن يوافقـوا بـك، لـن يرضـوا بقـاض يعمـل والـده عامـل نظافـة، لا يغرنـك تفوقـك وحصولـك علـي المراكـز الأولـي، فهـي لا تسـمن ولا تغنـي مـن جـوع، يـا بنـي مثلنـا لا مـكان لـه تحـت الشـمس، سـتعيش إبـن كنـاس المدينـة، وسـتموت ميتـة إبـن عمـال النظافـة.

لـم يلتفـت منصـور لحديـث أبيـه، كان يظـن أنـه يعيـش عصـرًا غيـر عصـره، وأن أبـن الريـس عبـد الواحـد جنايني الباشـا قـد أنهـي تلـك النظـرة الدونيـة لبسـطاء المصرييـن، ولكنـه لـم يكـن يـدرك أنـه ظـن مـن النـوع الأثيـم، وأنـه مـا ثـورة قامـت في تلـك المدينـه الجائعـة، ارتـدي الفتـي أبهـي مـا لديـه، حلـة بسـيطة ولكنهـا كانـت أجمـل مـا يمتلـك، رابطـة عنـق اعتقـد أنهـا مناسـبة، حـذاء حـرص علـي تلميعـه بنفسـه، ذهـب إلـي المـرآة ينظـر إلـي هيئتـه، أغمـض عينيـه، ثـم راح يتخيـل نفسـه يقـف بهـا في قاعـة المحكمـة ينتصـر للحـق والعـدل.

«لا أعتقد يا بُني أنك تستحق هذا المنصب».. كلمات كالرصاص انطلقت داخل قاعة المحكمة، كلمات أيقظت الفتي منصور من أحلامه، قالها والده ولم يصدقها، لماذا يرفضونه، لقد تفوق في دراسته علي الجميع، لا ينقصه أي شيء، مصري من أبوين مصريين، حصل علي المركز الأول علي جامعته، فمن يصلح غيره، لم يشعر أن ما يفكر به يخرج من فمه بصوت مرتفع، إلا أن ضحكات ساخرة متقطعة من أعضاء تلك اللجنة جعلته ينتبه، لا تقلق يا بني، هناك الكثير يستحق، لكنهم ليسوا مثلك، بل أعلي شأنًا.

من يري منصور صباح هذا اليوم لا يمكن أن يصدق ما آل إليه الأن، فشتان بين فتي خرج من منزله يحذوة أمل جعله مختالاً فرحًا بنفسه، وبين فتي قتلوا حلمه حتي قبل أن يولد، دون أن ينطق كلمة التفت تاركًا تلك اللجنة الظالمة، خرج من الغرفة منكس الرأس، يبدو عليه الحزن والإنكسار الذي أوصله حد البكاء، حزن أدركه من ينتظر دوره من البُسطاء الحالمين في هذا البلد التعيس، إنكسار جعل البعض ينسحب من تلك المنافسة غير المتكافئة، في حين انتفخت أوداج البعض ممن ظنوا أنهم أسمي وأرقي من علي هذه الارض.

هـام منصـور علـي وجهـه في شـوارع المحروسـة، لا يـدري إلـي أين يتجـه، ولا إلـي أين تقـوده قدمـاه، فقـط لا يرغـب في العـودة إلـي المنـزل، العـودة إلـي ذلـك الوالـد الـذي رفضـوه لبسـاطة مهنتـه، يؤلمـه أن يشـعر ذلـك الأب أنـه سـبب هزيمتـه، رغـم تنبـؤه بمـا سـيحدث هـذا اليـوم، راح الفتـي يلعـن سنوات عمـره التـي قضاهـا دون فائـدة، راح يلعـن كل لحظـة حلـم فيهـا مـن أجـل هـذا الوطـن، كيـف يعيـش في وطـن رفـض الإعتـراف بإنسـانيته، بوطنيتـه، وطـن يتعامـل معـه كمواطـن مـن الدرجـة الثانيـة، وطـن يصنـف أبنـاءه طبقًـا لدرجاتهـم الإجتماعيـة.

انطلق صـوت المؤذن معلنًـا موعـد أذان الفجـر، في تلـك اللحظـة وصـل منصـور إلـي كورنيـش النيـل، وقـف يتلفـت يمينًـا ويسـارًا، هـل هـام علـي وجهـه طيلـة هـذا اليـوم، مـن ايـن جـاء، وكيـف سـار في شـوارع المحروسـة كل تلـك السـاعات دون أن يـدري، إنـه لا يذكـر أي شـيء منـذ أن تـرك تلـك اللجنـة المشـئومه، إنـه يخشـي العـودة إلـي المنـزل، يخشـي مواجهـة والديـه، يخشـي مواجهـة نفسـه، أي حيـاة يمكـن أن يعيشـها بعـد اليـوم وهـو يعيـش مواطنًـا مـن الدرجـة الثانيـة، أي انتمـاء يمكـن أن يقدمـه لوطـن يرفـض وجـوده، أو يفخـر بـه.

اسـتند منصـور علـي سـور كوبـري قصـر النيـل متأمـلاً مياهـه السـاكنه، راح يشـكو لـه ضعـف قوتـه، وقلـه حيلتـه، وهوانـه علـي

الناس، كان يشعر باختناق، فقد سد امتلاء قلبه بالحزن حلقه، لم يعد قادرًا علي احتمال رابطة عنقه، فاسرع بفكها بايديٍ مرتعشة، بكي بحرقة وهو ينظر إليها، ليست تلك التي رأها صباح هذا اليوم وأُعجب بها، أمسكها بكلتا يديه، رفعها أمام وجهه ليري ما جعله يندهش، لقد صنع دون أن يقصد من رابطة عنقه حبل مشنقه، تلك هي النهاية إذا، نهاية إنسان أراد الحياة، ولكنهم أجبروه علي اختيار الموت، لم يفكر كثيرًا، كان يخشي التراجع أكثر من خشية الموت نفسه، دون تردد راح يربط طرف رابطة العنق علي سور الجسر، ثم صعد واضعًا الحلقة التي صنعها حول عنقة، نظر إلي السماء باكيًا، قبل أن يترك جسده يتهاوي أعلي نهر النيل، لتنتهي حياته كمواطن من الدرجة الثانية.

●●●

داخل المخدع، توقفت شهرزاد كعادتها أمام فراش مليكها، تقول: وكانت تلك يا مولاي حكاية منصور، ذلك الشاب الذي لم يكن من اسمه أي نصيب، هزموه علي أرضه فلم يعد منصورًا، أجبروه علي قتل نفسه عله يجد في الأخرة حظ يليق به، صمتت شهرزاد برهةٌ، وعندما لم تتلقي جواب، التفتت إلي الملك شهريار، الذي تململ في الفراش ثم قال مهمهماً: وماذا بعد أكملي، أجابته بصوت متردد، حانق، وبعد،، يبدو أنك ستظل نائمًا يا سيدي،

للرعيـة كل الحـق فيمـا يطالبـون بـه، سـنلتقي بعـد ألـف عـام ولـم تكـن قـد تعلمـت الـدرس بعـد، أنـه إذا لـم يكتشـف الإنسـان نفسـه بنفسـه، فحتمًـا سـيضل السـبيل، ......... أطلـق الديـك صياحـه معلنـاً ميـلاد يـوم جديـد، عندهـا أدرك شـهرزاد الصبـاح، فسـكتت عـن الـكلام بعـد أن أدركـت أنـه لـم يعـد مبـاح................

●●●

**نوبة أركوني قُوريرا.. مســرنا دورو**

**أسّـــى أوينقون دورو.. فاويدُ إركي أونّــا**